شرح حديث افتراق الأمة

وأما بقية الفرق فقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر أن أمته تفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة كل الفرق في النار إلا واحدة من هي؟ قال: { ما أنا عليه اليوم وأصحابي } وهذا الحديث يمكن أن يقال: إنه يريد بالأمة أمة الدعوة، فإن كل من على وجه الأرض يدخلون في أمته الذين يجب عليهم إجابة دعوته، وتصديق ما جاء به، وقبول الشرع الذي بلغه؛ فيكون اليهود بفرقهم من أمة الدعوة، والنصارى بفرقهم من أمة الدعوة وهم في النار، والبوذيون والهندوس والقاديانيون كلهم من أمة الدعوة، وهم ليسوا من أمة الإجابة، ومع ذلك يسمون إلى أنهم من الأمة فنحكم عليهم بالنار. وقيل: إن المراد أمة الإجابة يعني الذين شهدوا للنبي صلى الله عليه وسلم بأنه رسول الله، وشهدوا أن لا إله إلا الله، ولكن ابتدعوا بدعا مكفرة فيدخل فيهم بدع الرافضة والإسماعيلية وهم كثير، وبدع المتصوفة وغلاتهم وهم كثير، وبدع القبوريين الذي يغلون في القبور فيدعونهم من دون الله مع كونهم يأتون بالشهادتين. وكذلك بدع الجهمية والمعطلة مع أنهم يأتون بالشهادتين، ولكن بدعوى مكفرة، وهم كثير فمثل هؤلاء إذا قيل إنهم في النار فإنه حق أنهم في النار ومخلدون فيها. وعلى هذا قد تقول: إن فرقهم أكثر من السبعين ومن المائة فيقول بعض العلماء: إن ذكر السبعين على وجه المبالغة بالكثرة، وليس المراد الحصر لعدم إمكان حصر تلك الفرق وتشعبهم. فقد يقال: إن فرقة المعتزلة والجهمية ونحوهم يبلغون مائة فرقة، وقيل إن المراد الفرق الكبيرة المشهورة الذين يكون لهم ذروة ويكون لهم أتباع كثير، وتبقى معتقداتهم وتبقى مذاهبهم متبعة ويكون لهم من ينصرهم ويؤلف في معتقدهم، ويكثرون من الدعوة إلى معتقدهم، فيكون هؤلاء هم الذين يدخلون في هذا العدد أي ثلاث وسبعين. وذهب بعضهم إلى أنه يعم جميع الفرق، وإن لم يصل الأمر إلى تكفيرهم فأدخلوا فيهم الخوارج مع أن أكثر الأمة لا يكفرونهم، وكذلك أدخلوا فيهم المعطلة الذين لم يصلوا إلى الكفر من تعطيلهم، وكذلك أدخلوا فيهم كثيرا من المرجئة والمجبرة والوعيدية والأشعرية والكرامية والكلابية ونحوهم، ولكن هذه البدع لم يكفر أهلها أهل السنة. فعلى هذا قوله كلهم في النار من أحاديث الوعيد بمعنى أنه ممن يستحق النار، إذا لم يعفُ الله فيكون ذلك مثل الأحاديث التي وردت في وعيد بعض العصاة بالنار؛ مثل قوله صلى الله عليه وسلم: { لا يدخل الجنة نمام } معلوم أن النميمة قد لا تصل إلى الكفر ومع ذلك متوعد بهذا الوعيد، وغيره من الأحاديث الكثيرة تجدونها في كتب أهل السنة يذكرونها على بيان أنه يستدل بها الخوارج والمعتزلة. ومع ذلك فإن أهل السنة يحملونها على أنها من أحاديث الوعيد، ويقولون إننا نجريها على ظاهرها ليكون أبلغ في الزجر، ومع ذلك لا نعتقد أنهم يخلدون في النار، بل نجري عليهم قاعدتنا؛ وهي أننا نقول: إن كل من كان من أهل التوحيد ومن أهل الإيمان، ولو كان من العصاة فإنهم متوعدون على المعاصي بالنار، ولكن قد يعفو الله عن ذنوبهم ويدخلهم الجنة لأول وهلة، وقد يدخلهم النار، وإذا دخلوا النار فإنهم يخرجون منها، فيكون مآلهم إلى الجنة. كما وردت الأحاديث في إثبات الشفاعة أن الله تعالى يأمر بإخراج من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، أو دينار من إيمان، أو خردلة من إيمان.